Mesopotamian journal of Quran studies
Vol.2023, **pp**. 44–54
DOI: https://doi.org/10.58496/MJQS/2023/006 ; ISSN: 3005-9933
https://mesopotamian.press/journals/index.php/MJQS

Parallelism of grammatical methods in Sunan Ibn Majah-The news method as a model

توازي الأساليب النحوية في سنن ابن ماجة أسلوب الخبر أنموذجا

Israa Ghanem Muhammad[1,*],
Abdullah Khalif Khudair Al Hayani[2]
[1] *Arabic Language department., College of Education, Al Hamdaniva University, Iraq.*
[2] *Arabic Language department, College of Arts, Mosul University, Iraq.*

اسراء غانم محمد [١،*]، عبد الله خليف خضير الحياني [٢]
[١] قسم اللغه العربية , كلية التربية, جامعة الحمدانية, العراق
[٢] قسم اللغة العربية, كلية الاداب, الجامعة الموصل , العراق.

ABSTRACT

This research attempts to shed light on the parallelism of grammatical methods in Sunan Ibn Majah, due to its important role in the coherence and cohesion of the text. Syntactic parallelism is an important mechanism in constructing and organizing the text, and through it we can understand the nature of the text and its structural patterns. Given that the research is limited to a number of pages, we decided to take only the news styles, so that we can take a pause from the rest of the styles in another research. The study started from the concept of parallelism in language and terminology, reaching to address types of patterns of parallelism of grammatical methods; to demonstrate the importance of syntactic parallelism in constructing and cohesive the text, and we ended with a conclusion that included the most important results. The study adopted the descriptive and analytical approach in reading and interpreting the texts.

الخلاصة

يحاول هذا البحث تسليط الضوء على توازي الأساليب النحوية في سنن ابن ماجة، لما لها من دور مهم في ترابط النص وتماسكه، فالتوازي التركيبي آلية مهمة في بناء النص وانتظامه، ومن خلاله يمكن أن نفهم طبيعة النص وانماطه التركيبية؛ ونظرا لتحديد البحث بعدد من الصفحات ارتأينا أن نأخذ الأساليب الخبرية فحسب، على أن تكون لنا وقفة من باقي الأساليب في بحث آخر، وانطلقت الدراسة من مفهوم التوازي لغة واصطلاحا وصولاً الى تناول أنواع من أنماط توازي الأساليب النحوية؛ لبيان أهمية التوازي التركيبي في بناء النص وتماسكه، وانتهينا بخاتمة تضمنت اهم النتائج، واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي في قراءة النصوص وتأويلها. وتنوعت الأساليب التي تناولتها الدراسة ومنها: أسلوب الشرط والاستثناء والتقديم والتأخير والتوكيد.

Keywords
الكلمات المفتاحية

التوازي التركيبي، الأساليب النحوية، سنن ابن ماجة، التماسك.

Syntactic parallelism, grammatical methods, Sunan Ibn Majah, cohesion.

Received	Accepted	Published online
استلام البحث	**قبول النشر**	**النشر الالكتروني**
05/03/2023	08/05/2023	10/06/2023

١. مقدمة

يتنوع الكلام العربي على وجه الإجمال إلى أساليب تنحصر في قسمين: أساليب كلامية خبرية وظيفتها إعلام الغير بوقوعها ممّا تحتمل أن يقال لقائلها إنّه صادق فيها أو كاذب فيها، وأساليب كلامية إنشائية وظيفتها طلب إيقاع أو حصول غير الحاصل ولا تحتمل أن يقال لقائلها إنه صادق أو كاذب.

*Corresponding author is.muhammad9595@gmail.com

ويقصد بالأسلوب: الطريقة التي تصاغ بها الجملة لتؤدي معناها العام وهذه الطريقة تحمل إضافة إلى المعنى المفرد (المعجمي) ومعنى العلاقة التركيبية فيما بين كل متطالبين نحوياً معنى تركيبياً عاماً هو نتيجة اختلاط هذه المعاني كلها ليخرج منها المعنى العام الذي يقف بإزاء أغراض الكلام وقصدية المتكلم وحال المخاطب، لينقسم تبعاً لذلك إلى أقسام متنوعة أو أساليب متعددة[١].

٢. الأسلوب الخبري مفهومه وأبعاده

الأسلوب الخبري: وهو أحد الأساليب البلاغية في اللغة العربية ويستعمل في العديد من الأغراض، منها: نقل المعلومات، والاستدلال والدعاء والتعجب، ويتميز بتقديم معلومات وأخبار جديدة للمخاطب، والذي يحتمل الصدق والكذب لذاته باستثناء القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة فإنهما وإن احتملتهما لذاتهما، إلاّ أنّهما لا يحتملاهما لأجل القطع بصدق القائل، وباستثناء الحقائق العلمية الثابتة[٢]. "والمراد بالصادق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع، وبالكاذب مالم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع[٣]".

وللتوضيح أكثر لابدّ من عرض مبسط عن معنى الخبر في اللغة والاصطلاح، وكذلك الأغراض التي يؤديها الخبر، وابرز الأساليب الخبرية التي سنتناولها في تحليل الاحاديث المتضمنة لتلك الأساليب.

- الخبر لغة: ما جاء في لسان العرب "خبرت بالأمر أي علمته، وخبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته، والخبر – بالتحريك . واحد الأخبار، والخبر ما أتاك من نبأ عمن تستخبر، والخبر النبأ خبّره وأخبره نبأه الخبر العلم بالشيء تقول: لي بفلان خبرة وخُبر والله تعالى الخبير أي العالم بكل شيء، وخبّره بكذا وأخبره: نبأه[٤]".
- اصطلاحاً: عرّفه المبرد بقوله: " ما جاز على قائله التصديق والتكذيب[٥]". و"هو ما يحتمل التصديق والتكذيب، فإن كان مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابقا للواقع كان قائله كاذبا[٦]".

٢.١ اضرب الخبر:

١. الخبر الابتدائي: وهو الخبر الذي خلا من أدوات التوكيد، وذلك لأن المخاطب خالي الذهن مما يتضمنه الخبر[٧]، وخير مثال له قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ (الأنبياء:٦٢، ٦٣).

٢. الخبر الطلبي: وهو الخبر الذي يتردد المخاطب فيه ولا يعرف مدى صحته[٨]، وخير مثال له قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص: ٢٠)

٣. الخبر الإنكاري: وهو الخبر الذي ينكره المخاطب إنكاراً يحتاج إلى أن يؤكد له بأكثر من مؤكد[٩]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (يس: ١٣).

وقد يكون للخبر أغراضاً أخرى غير ما ذكرنا ومنها: يأتي للاسترحام، ولإظهار التحسر وللتحذير، والتعظيم، والتمني، والتوبيخ، وللتوعد والوعيد، وللنفي والإثبات، وغيرها من الأغراض[١٠].

٣. توازي الأساليب الخبرية:

٣.١ أسلوب الشرط:

---

[١] ينظر: دلالة السياق، ردة الله بن ضيف الله الطلحي: ٥٠٤.

[٢] ينظر: التعريفات، للجرجاني: ١٢٩، والبلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: ١/ ١٧١.

[٣] الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون: ١٣.

[٤] لسان العرب، لابن منظور: مادة (خبر).

[٥] المقتضب، للمبرد: ٣/ ٨٩.

[٦] المبسط في علوم البلاغة –المعاني والبيان والبديع، محمد طاهر: ٢٨.

[٧] ينظر: علوم البلاغة البيان، والمعاني، والبديع، احمد مصطفى المراغي: ٣٨.

[٨] ينظر: علوم البلاغة البيان، والمعاني، والبديع: ٣٩، ٤٠.

[٩] ينظر: المصدر نفسه: ٤٠.

[١٠] ينظر: الأساليب الخبرية وأضربها، د. موسى محمد وصالح محمد كبير: ٧٦، ٧٧.

الشرط في اللغة: "هو إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه والجمع شروط[1]". أمّا الشرط في اصطلاح النحويين: هو ترتيب أمر على آخر بأداة، وأدوات الشرط هي الألفاظ التي تستعمل في هذا الترتيب، والشرط يعني وقوع الشيء لوقوع غيره[2]. وكلمة الشرط تطلب جملتين يلزم من وجود مضمون أولاهما فرضا حصول مضمون الثانية، فأدوات الشرط كلمات وضعت لتدل على التعلق بين جملتين، والحكم بسببيّة أولاهما ومسببيّة الثانية[3].

أدوات الشرط عديدة وتصنف على نوعين: الأول: أدوات الشرط الجازمة وهي: (أنْ، من، متى، أيان، أي، أنى، حيثما، إذ ما) وهي تجزم الفعل المضارع لفظاً، والفعل الماضي محلاً، ومنها حروف وأسماء[4]. والثاني: أدوات الشرط غير الجازمة وهي: (أمّا، ولولا، وكلّما، ولمّا، ولوما، وإذا، وكيفما، ولو)[5].

ومن أنماط توازي أسلوب الشرط في الحديث النبوي ما روي عَنْ كَثِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي، فَعَمِلَ بِهَا النَّاسُ، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةً، فَعُمِلَ بِهَا، كَانَ عَلَيْهِ أَوْزَارُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِ مَنْ عَمِلَ بِهَا شَيْئًا[6]».

في الحديث الشريف رغَّب النبي محمد – صلى الله عليه وسلم . أمته في اتباع سنته وبيّن أجر ذلك، وحذَّر من تركها واتباع البدع. فقوله . صلى الله عليه وسلم. (من أحيا سنة...) أي يعطيه الله أجراً مساوياً لأُجور كل من عمل بها من الناس، ويحرض الناس ويحثهم على إقامتها والتحذير من مُخالفتها. والمراد بالسنة: ما شرعه رسول الله . صلى الله عليه وسلم . من الأحكام وقد تكون فرضاً كزكاة الفطر، أو غير فرضٍ كقيام الليل وصيام النوافل. فالحديث النبوي يُشجع على اتباع سنة النبي محمد . صلى الله عليه وسلم . وتجنب الابتداع في الدين، وقوله . صلى الله عليه وسلم . (ومن ابتدع بدعة...) أي فله من الإثم ما يساوي آثام وذُنوب كل من عمِل بها، والبدعة هي ما لا يوافق أُصول الشرع. فالنبي . صلى الله عليه وسلم . في حديثه حذّرَ الذين لا يأخذون بسُنته مُكْتَفينَ بكتاب الله وحده[7]. "مع ملاحظة أن النبي أضاف السنة إليه فقال: (من سنتي) بينما أطلق الكلام في البدعة فقال: (ومن ابتدع بدعة) ولم يقل بدعة سيئة".

ويلخص ذلك الراجحي في شرحه: "أن من سن سنة حسنة وأحيا السنة وأظهرها فله أجرها، ومن عمل السيئات والبدع فعليه وزرها ووزر من عمل بها"[8].

تشكل التوازي التركيبي في الحديث النبوي بين متواليتين وعلى الهيئة التركيبية الآتية:

أسم شرط (مبتدأ) + (فعل الشرط) (فعل ماض) + فاعل مستتر + مفعول به

ومثالها في الحديث النبوي قوله . صلى الله عليه وسلم .: مَنْ + أَحْيَا + سُنَّةً + مِنْ سُنَّتِي.

أمّا جواب الشرط فيتكون من العناصر الآتية:

فعل ماض ناقص (جواب الشرط) + شبه جملة خبر كان مقدم+ اسم كان مؤخر.

ومثالها في الحديث النبوي قوله . صلى الله عليه وسلم .: كَانَ + لَهُ + مِثْلُ.

أما المتوالية الثانية فتتكون من جملة فعل الشرط وجملة جواب الشرط وجزاءه وعلى الهيئة التركيبية الآتية:

فجملة فعل الشرط تتكون من العناصر التركيبية الآتية:

أسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ+ فعل ماض في محل جزم (فعل الشرط) + فاعله ضمير مستتر+ مفعول به.

ومثالها في الحديث النبوي قوله . صلى الله عليه وسلم .: مَنْ + ابْتَدَعَ + بِدْعَةً.

أما جواب الشرط فيتكون من العناصر التركيبية الآتية: فعل ماض ناقص + شبه جملة خبر كان مقدم+ أسم كان مؤخر.

ومثالها في الحديث النبوي قوله . صلى الله عليه وسلم .: كَانَ+ عَلَيْهِ + أَوْزَارُ.

وقع التوازي التركيبي في الحديث النبوي بين متواليتين وعلى طريقة البنى المتشابهة المتمثلة بجملة الشرط وجوابه، وهي عنصر الاشتراك بينهما، والقائم على التضاد الموضوعي الداخلي بين المتواليتين؛ إذ تموضعت المتوالية للحديث عن فضل إحياء السنة وثوابها، فيما تصدرت المتوالية الثانية للحديث عن تجريم الابتداع في الدين ووزر القائمين عليه. كما أضفى التكرار لبعض عناصر المتواليتين نسقية جمالية ومعنوية أثّرت في تكريس المعنى وأثْرت الكلام تجاذبا بين

---

[1] لسان العرب، ابن منظور: مادة (شرط).

[2] ينظر: التهذيب الوسيط في النحو، ابن يعيش الصنعاني: ٢٩٢.

[3] ينظر: شرح التّسهيل، ابن مالك: ٦٦/٤.

[4] ينظر: شرح ابن عقيل: ٤/ ٢٦، وشرح الجمل، لابن عصفور: ١٩٥/٢.

[5] ينظر: النحو الوافي، عباس حسن: ٤/ ٤٢٧.

[6] سنن ابن ماجة: ٧٦/١.

[7] ينظر: فيض القدير: ٤/ ٢٣٢، www.dorar.net.

[8] شرح سنن ابن ماجة، الراجحي: ٤/١٤.

متنافرين. وقد وقع التكرار في الحديث بطريقين بطريق الإجمال وبطريق التفصيل، أما التكرار الإجمالي فتمثل في كون كلٍ من المتواليتين بُنيت على أسلوب الشرط الجازم بأداة جازمة لفعلين هي اسم (مَنْ)، وفعل الشرط في كل متوالية هو فعل ماض في محل جزم (أحيا) و (ابتدع), وكلّ منهما متعدٍ إلى مفعول (سُنةً) و (بدعةً)، وجوابه فعل ماض ناقص فيهما (كان). أما التكرار التفصيلي فتمثل في العناصر الآتية؛ إذ تكرر أسم الشرط (مَنْ) في بداية كل متوالية, بلفظه وموقعه الإعرابي في المتواليتين؛ إذ جاء مبنياً في محل رفع مبتدأ، فاسم الشرط (مَنْ) لفظٌ موغل في التنكير موضوعٌ للعقلاء مما شاع في جنسه[١]؛ إيحاءً بتنكير نوع العقلاء مع اختلاف أوصافهم ومشخصاتهم المفيد استوائهم في الحكم الخطابي, وهذا وجه التشابه القائم عليه التوازي. كما أفاد أن اختلاف المخاطبين ومشخصاتهم لا أثر له في ترتب نوع الجزاء على نوع العمل، فأي مكلف بالخطاب مهما كان نوعه وجنسه يستوي مع سائر نظرائه في ترتب الثواب أو العقاب على إحياء سُنة أو إحياء بدعة. وهذا وجه ارتباط المتخالفين في مصير ومآل الأعمال. ومن التكرار بذات اللفظ والمعنى هو جواب الشرط في كِلا المتواليتين (كان)، وقد اتفق جواب الشرط وهو الناسخ (كان) مع فعل الشرط في الصيغة الزمنية للفعل؛ إذ زمنهما المضي، واشتركا في محل الجزم؛ إذ الأصل في عمل أداة الشرط الجزم، فلما انشغل الفعلان بالبناء تعذر ظهور الجزم فقُدر محلاً. وعليه جاء التكرار والتشابه في صدر المتوالية وعجزها أعني فعل الشرط وجواب الشرط، عملاً بمبدأ الإثبات والتقرير، ففعل الشرط يثبت التكرار وجواب الشرط يقرّره إمعانا للصورة الهيكلية للتوازي التركيبي. فالقضية الشرطية تتركب من جملتين إحداهما تسمى بـ(الشرط)، والأخرى بـ(الجزاء)، ومفاد الجملة الشرطية هو تعليق الحكم في ظرف الجزاء على ثبوته في ظرف الشرط، بلا فرق بين أن يستفاد هذا التعليق والإناطة من مفاد أداة الشرط أو من مفاد هيئة الجملة[٢]. كذلك نجد أن التكرار في الحديث النبوي أضفى للنص ترابطاً وتماسكاً وانسجاماً بين عناصره اللغوية بكل تشكيلاته التي وضحناها آنفاً، فهذا يعود على ما يُعرف بالتماسك النصي الذي كان مفهومه كما عرفه أحمد عفيفي في كتابه نحو النص: "وهو وجود علاقة بين أجزاء أو جمل النص، أو فقراته، لفظية أو معنوية وكلاهما يؤدي دوراً تفسيرياً؛ لأن هذه العلاقة مفيدة في تفسير النص[٣]".

وقد تضمن التوازي في البنى المتشابه والمتكررة بطريق الإجمال المذكور آنفا توازياً في البنى المتضادة جمعاً بين المتخالفين، وفائدة هذا الجمع تمييز المعنى العام للحديث وتسليط الضوء على المعنى المقصود، فقد تضمنت البنى المتشابهة المعنى وما يقابله، معنى الإحياء وما يقابله معنى الابتداع، ومعنى السُنة وما يقابلها معنى البدعة، ومعنى الأجر وما يقابله معنى الوزر، ووجه الفائدة حضور قاعدة: أنما تُعرف الأشياء بأضدادها. كما لا يخفى ما في ابتناء التوازي على الطباق السلبي، بين تلك الألفاظ المتقابلة، ويُعرف طباق السلب على أنه "ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً[٤]".

٣.٢ أسلوب التوكيد:

التوكيد في اللغة: "وكَّدَ العقد والعهد أوثقه، والهمز فيه لغة يقال: أوكدته وأكَّدته وآكَدْته إيكاداً وبالواو أفصح أي شددته، وتوكَّد الأمر وتأكد بمعنى ويقال وكَّدت اليمين والهمز في العقد أجود، وتقول إذا عقدت فأكِّدْ وإذا حلفت فوكِّدْ...[٥]".

التوكيد في الاصطلاح: التأكيد "هو تابع يقرر أمر المتبوع في النسبة والشمول، وقيل عبارة عن إعادة المعنى الحاصل قبله[٦]". ويعرف عبد القاهر الجرجاني التوكيد بقوله: "التأكيد أن تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك...[٧]".

للتوكيد نوعان:-

١.التوكيد اللفظي: "وَهُوَ بِإِعَادَة اللَّفْظ الأول أَو مرادفه وَهُوَ أحسن فِي الضَّمِير الْمُتَّصِل والحرف مُفردا كَانَ أَو مركبا مُضَافا أَو جملَة أَو كلَاما نكرَة أَو معرفَة ظَاهرا أَو مضمرا اسْما أَو فعلا أَو حرفا وَلَو ثَلَاثًا نَحْو {دكت الأَرْض دكا دكا وَجَاء رَبك وَالْملك صفا صفا} [الْفجْر: ٢١، ٢٢][٨]".

---

[٢] ينظر: الجملة الشرطية عند النحاة العرب، د. محمود فهمي حجازي: ٢٤٧.

[٣] نحو النص، أحمد عفيفي: ٩٨.

[٤] البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع، علي الجارم ومصطفى أمين: ١/ ٢٢٦.

[٥] لسان العرب: ٣/ ٤٦٦.

[٦] التعريفات، للجرجاني: ٥٠.

[٧] دلائل الإعجاز: ١٧٧.

[٨] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي: ١٧٢/٣.

٢.التوكيد المعنوي: هو تابع يقرر أمر المتبوع في أصل النسبة، بأن يرفع توهم الإسناد إلى غيره أو في شمول النسبة وإحاطتها، بأن يرفع توهم إرادة الخصوص بما ظاهره العموم، وذلك بألفاظ مخصوصة وضعها العرب لرفع اللبس وإزالة الاتساع[١]. والألفاظ التي يؤكد بها المتبوع الذي يقرر أمره في النسبة أو الشمول سبعة ألفاظ[٢]، هي: (النفس، والعين، وكلا، وكلتا، وكلّ، وجميع، وعامة).

من أبرز أدوات التوكيد وحروفه: (إنّ، وأنّ، ولام الابتداء، ونون التوكيد الخفيفة، والثقيلة، واللام الواقعة في جواب القسم، وقد، والمفعول المطلق)[٣].

ورد التوازي التركيبي بأسلوب التوكيد في الحديث النبوي من ذلك ما روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ[٤].

تموضع الحديث النبوي للترغيب والحثّ على أن يكون المرءُ مفتاحاً للخيرِ مِغلاقاً للشرّ، والترهيب والتحذير من أن يكون بعكس ذلك. "فالخير مرضاة الله وَالشَّر مسخطه وَإِذا رَضِي الله عَن عبد كَانَ عَلامَة رِضَاهُ عَنهُ أَن يَجعله مفتاحا للخير فَإِن رُؤِيَ ذكر الْخَيْر بِرُؤْيَتِهِ وَإِن حضر حضر مَعَه الْخَيْر وَإِن ذُكر ذُكر الْخَيْر مَعَه، وَإِن نطق نطق بِخَير, وَعَلِيهِ من الله تَعَالَى سمات ظَاهِرَة تذكّر بِالْخَيرِ من لقِيه, ويتقلب فِي الْخَيْر بِعَمَل الْخَيْر, وينطق بِالْخَيرِ ويفكر فِي الْخَيْر ويضمر على الْخَيْر وَهُوَ مِفْتَاح الْخَيْر حَيْثُ مَا حضر وَسبب الْخَيْر لكل من خالطه أَو عاشره أَو صَحبه, وأما الْآخر فيتقلب فِي الشَّرّ ويعْمل بِالشَّرِّ وينطق بِالشَّرِّ ويفكر بِالشَّرِّ ويضمر على الشَرّ, فَهُوَ مِفْتَاح الشَّرّ حَيْثُمَا حضر, وَسبب الشَّرّ لكل من خالطه أَو صَحبه, فصحبة الأول دَوَاء لَا ترجع مِنْهُ إِلَّا بِزِيَادَة, وصحبة الثَّانِي دَاء لَا ترجع مِنْهُ إِلَّا بِنُقْصَان, فَمن كَانَ بَين يَدي قلبِه دُنْيَاهُ فَإِنَّمَا يفْتَح بدنياه إِذا لقيك، وَمن كَانَ بَين يَدي قلبه آخرتُه فَإِنَّمَا يفْتَح بآخرته إِذا لقيك، وَمن كَانَ بَين يَدي قلبه خالقه فَإِنَّمَا يفْتَح بِذكرِهِ إِذا لقيك[٥]".

بُني التوازي التركيبي في الحديث النبوي بين المتواليتين أدناه على أسلوب من أساليب الخبر وهو أسلوب التوكيد، إذ إنّ المتواليتين قائمتان على البنى المتشابهة وعلى الهيئة التركيبية الآتية:-

فالمتوالية الأولى المتوازية بُنيت على الطريقة التركيبية الآتية:

حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد+ شبه جملة متعلقة بمحذوف خبر إنّ مقدم+ أسم أنّ مؤخر+ جار ومجرور متعلق به + بدل المبتدأ + جار ومجرور متعلق به.

ومثالها في الحديث النبوي: –

إنَّ + مِنَ النَّاسِ + مَفَاتِيحَ +لِلْخَيْرِ + مَغَالِيقَ + لِلشَّرِّ.

أما المتوالية الثانية المتوازية فبُنيت على الهيئة التركيبية الآتية:

حرف مشبه بالفعل يفيد التوكيد+ شبه جملة متعلقة بمحذوف خبر إنّ مقدم+ اسم إنّ مؤخر+ جار ومجرور متعلق به + بدل المبتدأ + جار ومجرور متعلق به.

ومثالها في الحديث النبوي:

وَإِنَّ + مِنَ النَّاسِ + مَفَاتِيحَ + لِلشَّرِّ + مَغَالِيقَ + لِلْخَيْرِ.

تبنّى التوازي التركيبي في الحديث النبوي إحدى أدوات أسلوب التوكيد، وهي (إنَّ) المكسورة يطلق عليها النحاة الحرف المشبه بالفعل، والذي يفيد التوكيد[٦]، أي توكيد نسبة الخبر إلى المبتدأ، كما اتخذ قوائمه على البنى المتشابهة بين المتواليتين، كما قامت تلك البنى المتشابهة على التشابه في البنية النحوية والتركيبية والمعجمية والصرفية، إذ وقعت في مواضع متقابلة في علاقتها بالحرف المشبه (إنَّ) الذي أفاد التوكيد. كما أن التكرار بين المتواليتين جاء مطابقاً تركيبياً ونحوياً، إذ جاءت (إنَّ) في المتوالية الأولى حرف مشبه بالفعل، وما بعدها شبه جملة من الجار والمجرور متعلقة بمحذوف خبر (إنَّ) مقدم في قوله . صلى الله عليه وسلم . (مِنَ النَّاسِ)، ثم يأتي اسم إنّ مؤخرا منصوبا في قوله . صلى الله عليه وسلم . (مَفَاتِيحَ) على وزن مفاعيل وهي هنا صيغة منتهى الجموع ممنوع من الصرف[٧]، فجاءت مطابقة لما جاءت عليه المتوالية الثانية في الصيغة نفسها وهو (مَغَالِيقَ). أما قوله . صلى الله عليه وسلم . (لِلْخَيْرِ) فهو شبه جملة من الجار والمجرور متعلق بـ (مَفَاتِيحَ)، وجاءت (مَغَالِيقَ) بدلاً من مفاتيح منصوباً بالفتحة، وما بعده شبه جملة من الجار والمجرور في قوله . صلى الله عليه وسلم . (لِلشَّرِّ) متعلق بالبدل، وكذلك ذات الترتيب في المتوالية الثانية، وهي قوله . صلى الله عليه وسلم . (وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ) إذ جاءت معطوفة على

---

[١] ينظر: اللمع، لابن جني: ١٦٩، وشرح الكافية، للرضي: ٣٨٣/٢.

[٢] ينظر: شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، خالد الأزهري: ٢/ ١٢٠.

[٣] ينظر: الأساليب النحوية، د. محسن علي عطية: ٢٥٥.

[٤] سنن ابن ماجة: ١/ ٨٦.

[٥] نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، محمد بن علي بن بشر الحكيم الترمذي: ٤٢٠/١.

[٦] ينظر: النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، علي الجارم: ١/ ٣٨٩.

[٧] ينظر: شرح ألفية ابن مالك، محمد بن صالح العثيمين: ٦١/ ١٠.

المتوالية الأولى بحرف العطف الواو، وقد كان يغني ذكر الواو عن ذكر أداة التوكيد, إلا أنه أعاد حرف التوكيد لأجل المساواة بين المتواليتين في قوة التوكيد فتحصل لدينا تكرر فيها أسلوب التوكيد المتمثل بالحرف المشبه بالفعل (إِنَّ)، إذ إن تكرار ذكر الشيء أسماً كان أم فعلاً أم حرفاً من علامات التوكيد اللفظي إذ هو إعادة ذكر اللفظ وتكراره[١]، فيزيد التوكيدَ توكيداً؛ إذ اجتمع التوكيد في المعنى المتمثل بمعنى (إنّ) المفيدة للتوكيد كما تقرر سابقا, مع التوكيد في اللفظ المتمثل بإعادة لفظها في المتوالية الثانية فأضفى ذلك على التعبير جمالية لفظية ومتعة معنوية واهتماما ملحوظا بالمضمون الموضوعي وارتباطا وثيقا في تحقيق التوازي.

لقد تضافر التوازي التركيبي في الحديث النبوي فلم تقتصر ركائزه على البنى المتشابهة، بل تعدى ليطول المعاني المعجمية لعناصر المتواليتين عن طريق إنتاج دلالة التقابل، من خلال تضاد في المعنى بين كلمة في المتوالية الأولى، وكلمة تقابلها في نفس المتوالية، وعلى طريقة البنى المتضادة، والتضاد بمفهومه: اختلاف كلمتين باللفظ متضادتين في المعنى[٢]. إذ إن هناك تضاداً في كل متوالية، ففي المتوالية الأولى جاءت كلمة (الخير) متقابلة ومتضادة مع كلمة (الشر)، وكذلك الحال في المتوالية الثانية إذ جاءت كلمة (الشر) متقابلة ومتضادة مع كلمة (الخير). كما ورد التضاد في المتواليتين بين لفظ (مَفَاتِيحَ) ولفظ (مَغَالِيقَ)؛ إذ المعنى المصدري للكل من الكلمتين ضد المعنى المصدري للأخرى، فكلمة فتح تضاد كلمة غلق؛ إذ المشتق يدل على عليّة المأخوذ منه. كما تدل صيغة كل كلمة من الكلمتين وهي منتهى الجموع على التكثير المفيد للمبالغة وهو أحد أوجه التناسب الملحوظ في المعنى بين مجمل الكلمات المتضادة. كما تضمن تناسبا في وصفها النحوي كما بين لفظ (مَفَاتِيحَ) ولفظ (مَغَالِيقَ) في كون كل منهما ممنوع من الصرف، وعلى وزن واحد وهو مفاعيل, علاوة على التناسب الموضوعي بين كلمة (مَفَاتِيحَ) وكلمة (الخير)؛ إذ النفس توّاقة لفتح أبواب الخير, وبين كلمة (مَغَالِيقَ) وكلمة (الشر)؛ أذ النفس مائلة لغلق منابع الشر. وعليه تكون البنى المتضادة متضمنة لبنى متشابهة داخل تلك البنى المتضادة في المعنى, وهذا من المسارات البليغة السهلة الممتنعة في كلام النبوة.

٣.٣ أسلوب الاستثناء:

الاستثناء في اللغة: جاء في مقاييس اللغة "الثاء والنون والياء أصل واحد، وهو تكرير الشيء مرتين أو جعله شيئين متواليين أو متباينين"[٣].

أما اصطلاحاً: يعرفه الجرجاني بأنه: "إخراج الشيء من الشيء لولا الإخراج لوجب دخوله فيه وهذا يتناول المتصل حقيقة وحكماً، ويتناول المنفصل حكماً فقط"[٤].

أو "هو إخراج ما بعد أداة الاستثناء من حكم ما قبلها"[٥].

أركان الاستثناء: تتكون جملة الاستثناء من (المستثنى منه، وأداة الاستثناء، والمستثنى)

أنواع الاستثناء باعتبار المستثنى منه في العربية قسمان:

١. الاستثناء التام: وهو ما كان المستثنى منه فيه مذكوراً نحو: حضر الطلابُ إلا واحداً. وهو على قسمين: الاستثناء التام المتصل: وهو ما كان المستثنى منه مذكوراً فيه وكان المستثنى من جنس المستثنى منه أو بعضه نحو: حضر الطلاب إلا خالداً. والاستثناء التام المنقطع: وهو ما كان المستثنى منه مذكوراً فيه والمستثنى ليس من جنس المستثنى منه أو بعضه، نحو: وصل المسافرون إلا أمتعتهم.

٢. الاستثناء المفرغ: وهو ما كان المستثنى منه غير مذكور فيه نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤)[٦].

ومن أنماط التوازي التركيبي في الحديث النبوي المتمثل بأسلوب الاستثناء ما روي عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِخَطِيئَةٍ يَعْمَلُهَا»[٧].

في الحديث النبوي تعظيم من شأن الدعاء وتأثيره في دفع المقدر، فالقدر نوعان، قدر يعني قدَّر الله أنَّه لا بدَّ أن يكون، فهذا لا يدفعه شيء لا دعاء ولا غيره، وقدر آخر مرتَّب على عدم الأسباب التي تدفعه فهذا القدر لدفعه أسباب، وأبلغها في الدفع هو الدعاء، وفيه إرشاد إلـ –صلى الله عليه وسلم . (وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ) "فِي تَأْوِيله وَجْهَان أَحدهمَا أَن يُرَاد بِالْقدرِ مَا يحافظ مِمَّا يخافه العَبْد من نزُول الْمَكْرُوه ويتوقاه فَإِذا أوفق للدُّعَاء دفع الله عَنهُ فَتكون تَسْمِيَته بِالْقدرِ مجَازًا وَالثَّانِي أن يُرَاد بِهِ الْحَقِيقَة وَمعنى رد الدُّعَاء الْقدر تهوينه وتيسير لِلْأَمْرِ فِيهِ حَتَّى يكون الْقَضَاء النَّازِل كَأَنَّهُ لم ينزل بِهِ وَيُؤَيّدهُ الدُّعَاء ينفع مِمَّا ينزل وَمِمَّا لم

---

[١] ينظر: شرح ابن عقيل: ٣/ ٢١٤.

[٢] ينظر: جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي, ص: ٣٠٣.

[٣] مقاييس اللغة: ١/ ٣٢٩، (مادة ثني).

[٤] التعريفات: ٢٠.

[٥] الأساليب النحوية: ٣٠٥.

[٦] ينظر: الأساليب النحوية: ٣٠٧.

[٧] سنن ابن ماجة: ١/٣٥.

ينزل"[١]. تشكل التوازي في الحديث النبوي من الصورة التركيبية المبنية على متواليتين قائمتين على أسلوب الاستثناء من النوع المفرغ، وعلى طريقة البنى المتشابهة وعلى النحو الآتي: فتألفت المتوالية الأولى من العناصر النحوية الآتية:

أداة النفي + فعل مضارع + جار ومجرور (متعلق بالفعل)+ أداة الاستثناء + المستثنى.

ومثالها في الحديث النبوي: لَا + يَزِيدُ + فِي الْعُمْرِ + إِلَّا + الْبِرُّ.

أما المتوالية الثانية فتنحل إلى العناصر النحوية الآتية:

أداة النفي + فعل مضارع + مفعول به (معمول الفعل) + أداة الاستثناء+ المستثنى.

ومثالها في الحديث النبوي: وَلَا + يَرُدُّ + الْقَدَرَ + إِلَّا + الدُّعَاءُ.

الواضح أن المتواليتين كما بينا قائمتان على البنى المتشابهة؛ إذ بدأت كل متوالية بأداة نفي (لا) غير عاملة داخلة على الفعل المضارع، فنفت معناه، ثم تلا الفعل المضارع معموله إلا أنه في الأول جار ومجرور وفي الثانية مفعول به، ثم تلا ذلك في المتواليتين أداة استثناء (إلا)، ثم جاء المستثنى، ولم يُذكر المستثنى منه في المتواليتين ليتقرر فيهما معاً الاستثناء المفرغ.

وما تقدم هو أوجه التشابه بين تركيب العناصر النحوية، أما أوجه التشابه في البنى الإعرابية، فإن المتوالية الأولى جاءت (لا) النافية غير عاملة، ومدخول (لا) النافية هو فعل مضارع مرفوع في قوله . صلى الله عليه وسلم . (يزيدُ)، والمتوالية الثانية بدأت أيضا بلا نافية غير عاملة داخلة على فعل مضارع مرفوع أيضاً في قوله . صلى الله عليه وسلم . (يردُ)، ثم تعدى الفعل المضارع في المتوالية الأولى إلى شبه جملة من الجار والمجرور في قوله . صلى الله عليه وسلم . (في العمرِ)، أمّا المتوالية الثانية فالفعل المضارع تعدى إلى مفعول به في قوله . صلى الله عليه وسلم .(القدرَ)، فكلا من المتواليتين تعدى الفعل فيهما إلى ما يتم به معناهما، أما أداة الاستثناء فكانت متحدة في المتواليتين وهي حرف الاستثناء في قوله . صلى الله عليه وسلم . (إلا)، وهي اشهر أدوات الاستثناء وأكثرها استعمالاً، أما المستثنى في المتوالية الأولى وهو قوله صلى الله عليه وسلم . (البرُ)، وفي المتوالية الثانية جاء المستثنى في قوله . صلى الله عليه وسلم . (الدُّعَاءُ). فالمستثنى في المتواليتين فاعل مرفوع بالضمة.

أمّا أوجه التشابه من الناحية الصرفية، فإن أداة النفي في المتوالتين مكونة من حرفين، والفعل المضارع فيهما فعل ثلاثي غير سالم، فالفعل المضارع (يَزِيدُ) في المتوالية الأولى، ماضيه (زاد) والألف فيه منقلبة عن ياء، أما الفعل المضارع (يَرُدُّ) في المتوالية الثانية ماضيه (ردّ) وهو ثلاثي مضعّف ولا يخفى التشابه بين الفعلين في البناء الصرفي؛ إذ الاتحاد ظاهر في حرف المضارعة الياء، والراء في الأول، والزاي في الثاني من جنس واحد وهما فاء الفعل, مع الاتحاد في حرف الدال وهو لام الفعل. وبناء على ما تقدم من أوجه التشابه في بنى التوازي نجدنا بين يدي استثناء مفرغ، جملة الاستثناء منفية وناقصة، وسمي منفياً؛ لأن النفي متقدم في الجملة، وسمي ناقصاً؛ لأن المستثنى منه غير مذكور فيها، وحكم المستثنى في هذه الصورة الأعراب حسب ما تقتصيه العوامل؛ فيعرب فاعلا للفعل المتقدم؛ إذ الفعل تسلط على عامله الفاعل بلا فاصل معنوي؛ لأن أداة الاستثناء ملغية بالنافي الذي قبلها وتصير أداة حصر ويفيد عندئذ القصر[٢]. ومعنى الحصر أو القصر إثبات الحكم للمستثنى بأداة الاستثناء، ونفيه عمّا عداه بأداة النفي المتقدم، ولولا هذا الأسلوب لثبت الحكم للمستثنى ولم ينتف عن غيره فتفوت تلك الفائدة[٣]. أما وظيفة التوازي التركيبي الفاضلة على الاستثناء المفرغ المتمثلة بتكرار ذات النوع من الاستثناء هي إضفاء الحصر تأكيداً وشمولاً للمعنى المقصود في الحديث النبوي، وأمارة على أن الاستثناء المفرغ مقصود في السياق، فيكون المعنى العام للحديث الشريف: ثبوت وانحصار واقتصار الزيادة في العمر بأعمال البر وانتفاؤها عمّا عداه من الأعمال، بالنسبة للمتوالية الأولى, وثبوت وانحصار ردّ القدر بالدعاء, وانتفاؤه عمّا عداه زيادةً في الاهتمام بالمستثنى, وأدعى لامتثال المكلف بالعمل بخبر النبي . صلى الله عليه وسلم .. كما نجد التكرار في عناصر الجملة المتوازية أثر واضح بين المتواليتين، إذ تكررت أداة النفي في قوله . صلى الله عليه وسلم . (لا)، كما وتكررت أداة الاستثناء (إلَّا)، إذ بالتكرار يكون النص أكثر تماسكاً وانسجاماً في ترتيب الألفاظ داخل النص، كما أن التكرار أيضاً من أشهر العلامات الدالة على وقوع التوازي بين المتواليات.

٣.٤ التقديم والتأخير

التقديم في اللغة: جاء في المقاييس: "الْقَافُ وَالدَّالُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى سَبْقٍ وَرَعْفٍ ثُمَّ يُفَرَّعُ مِنْهُ مَا يُقَارِبُهُ: يَقُولُونَ: الْقِدَمُ: خِلَافُ الْحُدُوثِ، وَمُقَدِّمَةُ الْجَيْشِ: أَوَّلُهُ: وَأَقْدِمْ: زَجْرٌ لِلْفَرَسِ، كَأَنَّهُ يُؤْمَرُ بِالْإِقْدَامِ. وَمَضَى الْقَوْمُ فِي الْحَرْبِ الْيَقْدُمِيَّةِ، إِذَا تَقَدَّمُوا"[٤].

---

[١] المصدر نفسه: ١٠.

[٢] ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي: ٢٤٨/٢.

[٣] ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٦٦/٢.

[٤] مقاييس اللغة: ٦٥/٥، ٦٦.

التقديم اصطلاحاً: "هو وضع الشيء أمام غيره وقد كان خلفه"[١].

التأخير في اللغة: (أَخَرَ) الْهَمْزَةُ وَالْخَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ إِلَيْهِ تَرْجِعُ فُرُوعُهُ، وَهُوَ خِلَافُ التَّقَدُّمِ. وَهَذَا قِيَاسٌ أَخَذْنَاهُ عَنِ الْخَلِيلِ فَإِنَّهُ قَالَ: الْآخِرُ نَقِيضُ الْمُتَقَدِّمِ. وَالْأُخُرُ نَقِيضُ الْقُدُمِ، تَقُولُ مَضَى قُدُمًا وَتَأَخَّرَ أُخُرًا. وَقَالَ: وَآخِرَةُ الرَّحْلِ وَقَادِمَتُهُ وَمُؤَخَّرُ الرَّحْلِ وَمُقَدَّمُهُ" [٢].

التأخير في الاصطلاح: هو تأخير جزء من الكلام حقَّه أن يتقدم، وممّا ذكره الجرجاني في دلائل الإعجاز حول التقديم والتأخير حيث قال: "هو باب كثير الفوائد جم المحاسن واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"[٣].

كما ويُعرّف الدكتور أحمد مطلوب التقديم والتأخير بأنه: " تغيير لبنية التراكيب الأساسية، أو هو عدول عن الأصل يكسبها حرية ورقة، ولكن هذه الحرية غير مطلقة"[٤] بل مقيدة بمراعاة الأصول التركيبية والنحوية وحتى البلاغية التي يتعذر الانتحال والتغيير فيها؛ لِما من فوضى كلامية يتعسر الوصول إلى المعاني المرادة. وختام ذلك يُعد أسلوب التقديم والتأخير أحد أهم مظاهر العدول عن نظام بناء الجملة والتركيب اللغوي وضعاً؛ لأنه من أهم المطالب الاستعمالية للغة، يؤكد ذلك ميل اللغة العربية وإمكاناتها في اتجاه حرية الترتيب للكلمات داخل الجملة حسب مقتضى الحال ومراد المتكلم، ولما تنوعت المقتضيات واختلفت مقاصد المتكلمين فسحت طبيعة اللغة للمستعملين بالميل عن الصناعة التركيبية الأساسية للجملة العربية لتحقيق المقصد الأسنى للغة للتعبير عن الواقع الذهني للمتكلمين، وهو ما يؤكده واقع استخدام اللغة[٥].

أسلوب التقديم والتأخير من الأساليب التي سجلت حضوراً ضمن استعمالات التوازي التركيبي، من ذلك ما روي عَنْ عَمْرِو بْنِ تَغْلِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا عِرَاضَ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ، وَإِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ»[٦].في الحديث النبوي الشريف يبيّن النبي . صلى الله عليه وسلم . لأمته علامات اقتراب الساعة، حتى يحتاطوا ويعدّوا لها العدّة، ويُعلموا من بعدهم من المسلمين، وهذه العلامات منها علامات كبرى، ومنها علامات صغرى، ومنها ما وقع وانطبق عليه ما ذكره النبي . صلى الله عليه وسلم . من أوصاف، ومنها ما لم يقع بعد. ففي قوله . صلى الله عليه وسلم . (إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ) أي من علامات يوم القيامة، والأشراط جمع شَرَط بالتحريك بفتحتين، وهو العلامة. فيخبرنا الرسول الكريم . صلى الله عليه وسلم . عن علامة من هذه العلامات التي تكون قبل قيام الساعة، وهي أن المسلمين سيقاتلون قوماً (عِرَاضَ الْوُجُوهِ) أي أن لهم وجوهاً غليظة مستديرة كثيرة اللحم، وصفتهم أن وجوههم كـ(الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ)، والمجان: هي التُّروس من الجلد التي تستخدم في اتقاء ضربات السيف في الحرب، والْمُطْرَقَةُ: الغليظة التي رُكّبت طبقة فوق أخرى. وأشار . صلى الله عليه وسلم . بعد ذلك إلى أن من علامات يوم القيامة أيضا هي مقاتلة قوم (يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ) والمراد به طول شعورهم حتى تصير أطرافها في أرجلهم موضع النعال، وقيل المراد بأن يجعلوا نعالهم من شعر مضفور[٧].

بُني التوازي التركيبي في الحديث النبوي القائم على أسلوب التقديم والتأخير على أساس من متواليتين قائمتين على إحدى أنواع التوازي وهو توازي البنى المتشابهة، إذ اتحد التقديم والتأخير في المتواليتين المتوازيتين صرفياً وتركيبياً ومعجمياً ودلالياً ونحوياً وهو قوله . صلى الله عليه وسلم . (إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا)؛ إذ تألفت المتواليتان من الهيئة التركيبية الآتية:

فالمتوالية الأولى كانت على هذا التشكيل التركيبي:

حرف مشبه بالفعل (مكسور الأول) + خبر ناسخ مقدم متعلّق شبه جملة جار ومجرور (حرف جر + اسم مجرور مضاف) + اسم ناسخ مؤخر مصدر مؤول (حرف مصدري + فعل مضارع) + مفعول به (موصوف بما بعده)

أما شاهد صورة التوازي التركيبي من الحديث المرتب على وفق تشكيل المتوالية الأولى فعلى النحو الآتي:

إِنَّ+ مِنْ + أَشْرَاطِ السَّاعَةِ + أَنْ + تُقَاتِلُوا + قَوْمًا + عِرَاضَ الْوُجُوهِ

أما المتوالية الثانية فكانت على التشكيل التركيبي الآتي:

---

[١] التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، مختار عطية: ١٥.

[٢] مقاييس اللغة: ١/ ٧٠.

[٣] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١/ ١٠٦.

[٤] بحوث بلاغية، أحمد مطلوب: ٤١.

[٥] ينظر: نظرية اللغة في النقد العربي، د. عبد الحكيم راضي: ٢١٨.

[٦] سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٧٢.

[٧] ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني: ٦/ ٦٠٧.

حرف مشبه بالفعل (مكسور الأول) + خبر ناسخ مقدم متعلَّق شبه جملة جار ومجرور (حرف جر + اسم مجرور مضاف) + اسم ناسخ مؤخر مصدر مؤول (حرف مصدري + فعل مضارع) + مفعول به (موصوف بما بعده)

وشاهد المتوالية الثانية من الحديث النبوي المرتب على الصورة التشكيلية للمتوالية الثانية فعلى الترتيب الآتي:

إنَّ+ مِنْ + أَشْرَاطِ السَّاعَةِ + أَنْ + تُقَاتِلُوا + قَوْمًا + يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ

بناء على ما تقدم من عرض للصورة التركيبية والتشكيلية للمتواليتين وما يقابلها من أمثلة في الحديث النبوي نجدنا قبالة بنى تركيبية متشابهة ومتطابقة تماما بالنظر إلى القالب اللفظي نحواً وصرفاً، وبالنظر إلى مظروفه المعنوي والمعجمي, فالتشابه بين البُنيتين واقع في اللفظ والمعنى معاً، فاستناد التوازي التركيبي هنا مبنى على التكرار، فكلا البُنيتين تقرأ الحديث النبوي على الصورة الآتية جملة جملة وكلمة كلمة: (إنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا...).

أما من جهة النحو فالناسخ (إنَّ) من الأحرف المشبهة بالفعل مكسور الأول لعلة الابتداء, عقبه جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم للناسخ, والاسم المجرور مضاف إلى ما بعده هكذا: (مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ)؛ وإنما قلنا إن الخبر مقدم؛ لأن الأصل في الأخبار أن تؤخر, والأصل في المبتدأ أن يُقدم ضرورة تأخر الصفة عن الموصوف؛ إذ الأخبار بالنسبة إلى المبتدأ في حكم تقدم الموصوف على صفته[1], والخبر حكمٌ, فيتأخر عن المحكوم عليه وهو المبتدأ. أمّا قوله – صلى الله عليه وسلم . (أَنْ تُقَاتِلُوا) مؤلف من (أنْ) وهي حرف مصدري ناصب للفعل المضارع بعده, والمصدر المؤول من أنْ والفعل في محل نصب اسم إنّ مؤخر, وقوماً مفعول الفعل (تُقَاتِلُوا). فالمتواليتان متطابقتان تماماً من جهة التحليل الإعرابي والنحوي. ويلزم من المطابقة والمشابهة بين بنى المتواليتين من الناحية الإعرابية المطابقةُ والمشابهة من الناحية الصرفية والمعجمية ضرورة؛ إذ التكرار للكلام في المتواليتين يؤذن بالمطابقة والمشابهة، ومن هنا يتشكّل التوازي التركيبي.

ولعل الفائدة من ارتسام التوازي التركيبي بأسلوب التقديم والتأخير تكمن في تعزيز هذا الأسلوب البلاغي وتجسيد انطباعه في الأذهان؛ إذ تقديم ما حقه التأخير كخبر إنّ هنا, وتأخير ما حقه التقديم كاسم أنّ لا يصار إليه إلا لاستدراك ما يفوت من معنى عند ترتيب الكلام على الأصل بلا تقديم أو تأخير في أجزاء الكلام.

ومن فوائد صياغة الحديث النبوي الشريف بصورة التوازي المبنى على التكرار تأكيد الكلام عند السامع أعني قوله صلى الله عليه وسلم (إنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْماً) نظرا لأهمية الموضوع في تنبيه الناس على عظم قيام الساعة ورهبة يوم القيامة، فالحديث عن أمارات الشيء ينبؤ عن عظيم قدره وجليل شأنه ومهابة مقامه، فمنزلة الأشراط من الساعة بمنزلة حرم الملك من سلطانه.

على أن صيغة التوازي التركيبي تدعو إلى استقطاب اهتمام المكلفين وجلب أنظارهم وشحذ انتباههم نحو مضمون الكلام وفحواه؛ إذ الأصل في استعمالات العرب في الكلام إذا تعدد المدخول عليه وهو مجمل المعمولات أن يكتفى بالعطف طلباً للاختصار، ففيه غنية عن التكرار الإعادة، فلما تُرك الأصل أعني العطف وصرح بالمحذوف المقدر في الكلام معنى، وأعاد قوله (إنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا) دلّ دلالة منطوق على ضرورة اعتبار أول الكلام المكرر وإيلائه الأهمية المستحقة، وهو أنّ من أمارات الساعة مقاتلة قوم ما، وما بعده صفات عارضة على أصل الكلام وهي دونه في الأهمية، وهذا يعضده إفادة تقديم خبر إنّ على اسمها، كما تقدم بيانه آنفا.

كما أنّ للصورة الجمالية التي ترتسمها المتواليتان في حياكة التوازي التركيبي في منطوق الحديث النبوي إبداعاً معبّرا ومحاكاةً لطيفة لمضمون ومفهوم ألفاظه، إذ كلام النبوة إيحاء من كلام الله المعجز بلفظه، المحبك بمعناها في سياقه وسباقه ولحاقه. ومما يلاحظ عند إمعان النظر في ترتيب الكلام ومعانه هو مسلك الإجمال والتفصيل المضمَّن في ثنايا التوازي التركيبي والذي يغني ويغذي التوازي قوة ورصانة قالبا ومضمونا. وشاهد ذلك في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم (إنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا) فقوله: (إنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ) موضع الإجمال، وقوله: (أَنْ تُقَاتِلُوا قَوْمًا) موضع التفصيل. فللإجمال والتفصيل مسوغات جمالية فنية ومقاصد ضمنية معنوية، فالإدراك البشري للأشياء يسير وفق مراتب، فالعقل يكون أكثر استجابة أولا للأشياء المجملة ثم لما هو أقل إجمالا؛ إذ الإجمال مقدمة سهلة تهيئ لاستقبال أعجاز الكلام المفصل المفتقر إلى الفهم الدقيق. ومن مسوغات الإجمال التشويق لمعرفة التفصيل؛ إذ النفس البشرية تتشوف إلى الاطلاع على ما أُبهم في كلام متقدم.

ومن الأسلوب الإبداعي في التوسل إلى المقاصد المعنوية مبدأ التداخل والتكامل بين أسلوب التقديم والتأخير، الذي ابتنى عليه التوازي التركيبي والذي يعد مظهراً رائداً من مظاهره اللفظية المعتمدة، وبين صناعة التفصيل بعد الإجمال؛ فلولا قدر الكلام على وضعه اللغوي بلا تقديم وتأخير لَفَاتت لفتة التفصيل بعد الإجمال ولفَاتت مسوغاته الدلالية، وهو ملحظ ظاهر من ملاحظ التوافق والانسجام بين الظرف ومظروفه أعني اللفظ والمعنى.

---

[1] شرح ابن عقيل: ٢٢٧/١.

٤. الخاتمة:

شكل توازي الأساليب النحوية ولاسيما أسلوب الخبر في سنن ابن ماجة مرتكزا مهما في بناء النص وتماسكه، وتنوعت الأساليب الخبرية التي ارتكزت على التوازي في بناء منظومة لغوية متماسكة ولا سيما في أسلوب الشرط والاستثناء والتقديم والتأخير والتوكيد. الفائدة من ارتسام التوازي التركيبي بأسلوب التقديم والتأخير تكمن في تعزيز هذا الأسلوب البلاغي وتجسيد انطباعه في الأذهان؛ إذ تقديم ما حقه التأخير كخبر إنّ هنا، وتأخير ما حقه التقديم كاسم أنّ لا يصار إليه إلا لاستدراك ما يفوت من معنى عند ترتيب الكلام على الأصل بلا تقديم أو تأخير في أجزاء الكلام.

للصورة الجمالية التي ترتسمها المتواليتان في حياكة التوازي التركيبي في منطوق الحديث النبوي إبداعاً معبّرا ومحاكاةً لطيفة لمضمون ألفاظه ومفهومها مع ان التقديم والتأخير يشير الى تغيير لبنية التراكيب الأساسية، أو هو عدول عن الأصل يكسبها حرية ورِقة، ولكن هذه الحرية غير مطلقة بل مقيدة بمراعاة الأصول التركيبية والنحوية وحتى البلاغية التي يتعذر الانتحال والتغيير فيها؛ لِما قد تخلقه من فوضى كلامية يتعسر الوصول إلى المعاني المرادة فكان التوازي بين التراكيب معيارا تركيبيا يحافظ على بناء النص وتماسكه عمل التوازي بشكل مباشر مع التوكيد في إيجاد بناء تركيبي اكثر توكيدا من خلال تكرار الجمل او المعاني داخل النص مع الاحتفاظ بالهيكل التركيبي له، فأضفى ذلك على التعبير جمالية لفظية ومتعة معنوية واهتماما ملحوظا بالمضمون الموضوعي وارتباطا وثيقا في تحقيق التوازي. لقد تضافر التوازي التركيبي في الحديث النبوي فلم تقتصر ركائزه على البنى المتشابهة، بل تعدى ليطول المعاني المعجمية لعناصر المتواليتين عن طريق إنتاج دلالة التقابل، من خلال تضاد في المعنى بين كلمة في المتوالية الأولى، وكلمة تقابلها في المتوالية نفسها، وعلى طريقة البنى المتضادة.

Funding:

No external financial support or institutional grants were provided to the authors for this study. All research activities were carried out independently.

Conflicts of Interest:

The authors declare that there are no conflicts of interest.

Acknowledgment:

The authors would like to express their deepest gratitude to their institutions for their indispensable encouragement and professional guidance.

References

[1] Al-Suyūṭī, J. al-D. ʿA. A. B. (1975). *Al-Itqān fī ʿulūm al-Qurʾān* (M. Abū al-Faḍl Ibrāhīm, Ed.). Cairo, Egypt: al-Hayʾa al-ʿĀmma lil-Kitāb, Retrieved from: https://www.lisanarb.com/2021/07/pdf_214.html

[2] Hārūn, ʿA. S. M. (1979). *Al-Asālīb al-inshāʾiyya fī al-naḥw al-ʿArabī* (2nd ed.). Cairo, Egypt: Maktabat al-Khānijī, Retrieved from: https://www.noor-book.com/dsuk2h

[3] Wāṣil, M. M., & Kabīr, Ṣ. M. (2020). Asālīb al-khabariyya wa-aḍrubahā fī dīwān al-Shāfiʿī. *Al-Iʿtiṣām: Majallat al-ʿUlūm al-Insāniyya, Jāmiʿat al-Qalam* (Kashna, Nigeria), Issue 1441 AH, Retrieved from: https://www.researchgate.net/publication/361029527

[4] ʿAṭiyya, M. ʿA. (2007). *Al-Asālīb al-naḥwiyya: ʿArḍ wa-taṭbīq* (1st ed.). Amman, Jordan: Dār al-Manāhij li-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ, Retrieved from: https://www.noor-book.com/okl1cf

[5] Maṭlūb, A. (1996). *Buḥūth balāghiyya* (1st ed.). Baghdad, Iraq: Maṭbūʿāt al-Majmaʿ al-ʿIlmī, Retrieved from: PDF

[6] Ḥabannaka al-Maydānī al-Dimashqī, ʿA. R. b. Ḥ. (1996). *Al-Balāgha al-ʿArabiyya* (1st ed.). Damascus, Syria: Dār al-Qalam; Beirut, Lebanon: al-Dār al-Shāmiyya, Retrieved from: https://shamela.ws/book/12825

[7] Al-Jārim, ʿA., & Amīn, M. (n.d.). *Al-Balāgha al-wāḍiḥa: al-Bayān wa-al-Maʿānī wa-al-Badīʿ*. Beirut, Lebanon: al-Maktaba al-ʿIlmiyya, Retrieved from: https://www.noor-book.com/kylpc5

[8] ʿAṭiyya, M. (2005). *Al-Taqdīm wa-al-taʾkhīr wa-mabāḥith al-tarākīb bayna al-balāgha wa-al-uslūbiyya*. Alexandria, Egypt: Dār al-Wafāʾ li-Dunyā al-Ṭibāʿa wa-al-Nashr, Retrieved from: https://www.noor-book.com/book/review/502776

[9] Ibn Yaʿīsh al-Ṣanʿānī. (1986). *Tahdhīb al-Wasīṭ fī al-naḥw*. Beirut, Lebanon: Dār al-Jīl , Retrieved from: https://www.noor-book.com/book/review/522193

[10] Al-Shamsān, A. A. I. (1981). *Al-Jumla al-sharṭiyya ʿinda al-nuḥāt al-ʿArab* (M. F. Ḥijāzī, Pref.). Cairo, Egypt: Maṭābiʿ al-Dajawī, Retrieved from: https://www.noor-book.com/rf0iag

[11] Al-Hāshimī, A. b. I. b. M. (n.d.). *Jawāhir al-balāgha fī al-maʿānī wa-al-bayān wa-al-badīʿ* (Y. al-Ṣumaylī, Ed.). Beirut, Lebanon: al-Maktaba al-ʿAṣriyya, Retrieved from: https://shamela.ws/book/9256

[12] Al-Ṭalḥī, R. A. R. b. Ḍ. (2003). *Dalālat al-siyāq* (Doctoral dissertation, supervised by ʿA. al-Barkāwī). Mecca, Saudi Arabia: Jāmiʿat Umm al-Qurā, Retrieved from: https://www.noor-book.com/8ldhpg

[13] Al-Jurjānī, ʿA. (n.d.). *Dalāʾil al-iʿjāz* (A. M. al-Marāghī, Ed.; M. ʿAbduh & M. M. al-Shanqīṭī, Rev.). Cairo, Egypt: al-Maṭbaʿa al-ʿArabiyya (2nd ed.) , Retrieved from: https://www.noor-book.com/jvzfs1

[14] Ibn Mājah, M. b. Y. al-Qazwīnī (2009). *Sunan Ibn Mājah* (A. Shams al-Dīn, Ed.; 3rd ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, Retrieved from: https://shamela.ws/book/1198

[15] Ibn ʿAqīl, ʿA. b. ʿA. (n.d.). *Sharḥ Ibn ʿAqīl ʿalā Alfiyyat Ibn Mālik* (M. M. ʿAbd al-Ḥamīd, Ed.; 2nd ed.) , Retrieved from: https://shamela.ws/book/11217

[16] Ibn Mālik, J. al-D. M. b. ʿA. (1990). *Sharḥ tasyīl al-fawāʾid* (ʿA. al-Sayyid & M. B. al-Makhtūn, Eds.; 1st ed.). Cairo, Egypt: Hajr li-al-Ṭibāʿa wa-al-Nashr wa-al-Tawzīʿ, Retrieved from: https://shamela.ws/book/13257

[17] Ibn ʿAṣfūr, ʿA. b. M. b. M. (1980). *Sharḥ jumal al-Zajjājī (al-Sharḥ al-kabīr)* (Ṣ. Abū Jināḥ, Ed.; 1st ed.). Mosul, Iraq: Jāmiʿat al-Mawṣil, Dār al-Kutub li-al-Ṭibāʿa wa-al-Nashr, Retrieved from: https://shamela.org/pdf/48d4af0612385098ec6ca9133723a397

[18] Al-Marāghī, A. M. (n.d.). *Al-Balāgha: al-Bayān wa-al-Maʿānī wa-al-Badīʿ*. Beirut, Lebanon: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya, Retrieved from: https://shamela.ws/book/9997

[19] Ibn Ḥajar al-ʿAsqalānī, A. b. ʿA. (2000). *Fatḥ al-Bārī: Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī* (ʿA. b. ʿA. b. Bāz & M. F. ʿAbd al-Bāqī, Eds.; 3rd ed.). Riyadh, Saudi Arabia: Dār al-Salām; Damascus, Syria: Dār al-Fayḥāʾ, Retrieved from: https://shamela.ws/book/1673

[20] Ibn Manẓūr al-Ifrīqī al-Miṣrī. (1994). *Lisān al-ʿArab* (3rd ed.). Beirut, Lebanon: Dār Ṣādir, Retrieved from: https://shamela.ws/book/1687

[21] Ibn Jinnī, ʿU. b. (n.d.). *Al-Lumaʿ fī al-ʿArabiyya* (F. Fāris, Ed.). Kuwait: Dār al-Kutub al-Thaqāfiyya, Retrieved from: PDF

[22] Al-Lādaqī, M. Ṭ. (2020). *Al-Mubasṣaṭ fī ʿulūm al-balāgha: al-Maʿānī wa-al-Bayān wa-al-Badīʿ – Namādhij taṭbīqiyya*. Beirut, Lebanon: al-Maktaba al-ʿAṣriyya, Retrieved from: https://www.lisanarb.com/2022/08/pdf_95.html

[23] Al-Sāmarāʾī, F. Ṣ. (n.d.). *Maʿānī al-naḥw*. Baghdad, Iraq: Bayt al-Ḥikma, Retrieved from: https://shamela.ws/book/17801

[24] Ibn Fāris, A. Ḥ. A. b. Z. (1972). *Muʿjam maqāyīs al-lugha* (ʿA. S. M. Hārūn, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Fikr, Retrieved from: https://shamela.ws/book/21710

[25] Al-Mubarrad, M. b. Y. (n.d.). *Al-Muqtaḍab* (M. ʿA. ʿUḍayma, Ed.). Beirut, Lebanon: ʿĀlam al-Kutub, Retrieved from: https://shamela.ws/book/6965

[26] ʿAfīfī, A. (2001). *Naḥw al-naṣṣ: Ittijāh jadīd fī al-dars al-naḥwī* (1st ed.). Cairo, Egypt: Maktabat Zahraʾ al-Sharq, Retrieved from: https://www.noor-book.com/7baxky

[27] Al-Raḍī al-Istarābādhī, M. b. al-Ḥ. (1978). *Sharḥ al-Raḍī ʿalā al-Kāfiya*. (n.d.) , Retrieved from: https://thahabi.org/book/18085

[28] Ḥasan, ʿA. (n.d.). *Al-Naḥw al-wāfī* (15th ed.). Cairo, Egypt: Dār al-Maʿārif, Retrieved from: https://shamela.ws/book/10641

[29] Al-Ḥakīm al-Tirmidhī, M. b. ʿA. b. al-Ḥ. b. B. (n.d.). *Nawādir al-uṣūl fī aḥādīth al-Rasūl* (ʿA. ʿUmayra, Ed.). Beirut, Lebanon: Dār al-Jīl, Retrieved from: https://shamela.ws/book/720

[30] Al-Suyūṭī, J. al-D. (1975). *Hamaʿ al-hawāmaʿ fī sharḥ jamʿ al-jawāmiʿ* (ʿA. S. Makram, Ed.). Kuwait: Dār al-Buḥūth al-ʿIlmiyya, Retrieved from: https://shamela.ws/book/6975